بادن باول

مؤسس الفرق الكشافة

حياته وعمله

توفى فى الشهر الأسبق السير بادن باول مؤسس الفرق الكشافة التى عمت أنظمتها العالم المتمدن وأخذت مصر منها بنصيب . ويجدر بنا أن نذكر لهذه المناسبة شيئ من ترجمته والبواعث التى بعثته على تأليف هذه الفرق وفلسفته عن أغراضها :

ولد بادن باول عام ١٨٥٧ فى أسرة متوسطة وتعلم فى إحدى " المدارس العامة" وهى فى حقيقتها مدارس" خاصة " تعنى بالأخلاق أكثر مما تعنى بالمواد الدراسية المألوفة، أوهى تعنى بالتربية أكثر مما تعنى بالتعليم . ومع أن هذا النظام يجد كثيرا من النقد فان مما لاشك فيه أن طراز التعليم فى هذه المدارس والميل العام فيها إلى أن يعيش التلميذ على أسلوب خاص فى المدرسة بإشراف المعلمين وعائلاتهم يجعل التلاميذ يتعودون عادات حسنة فى ترتيب أعمالهم والاهتمام بدروسهم وألعابهم وعلى أن ينشأوا نشأة الاستقلال .

والتحق بادن باول بعد ذلك بإحدى المدارس الحربية ثم دخل الجيش عام ١٨٧٦ ضابطا فى الفرسان . وانتقل إلى إفريقيا الجنوبية . وكانت الحكومة البريطانية أو الحكومات البريطانية المتفرقة فى هذه الأقاليم لاتزال تكافح القبائل البدائية التى كانت تحتل الأرض الخصبة أو الأقاليم التى تكثر فيها مناجم الفحم أو الذهب أو الأحجار الكريمة . وكانت هذه القبائل على مقدار عظيم من الشجاعة ولها رؤساء قادرون على المقاومة الحربية و إن كانت أسلحتهم دون الأسلحة العصرية . فإنهم كانوا مع جوادهم البنادق والمدافع يعرفون الرماية عن القوس والمحاذة بالرماح، وكانوا أيضا يسممون حرابهم بسموم مشتقة من الأعشاب التى تنبت فى أرضهم حتى كان الجرح الصغير يؤدى إلى قتل المصاب به بعد ساعات أو أيام من العذاب . وكانت قبيلة المتابيل أعظم هذه القبائل قوة وشكيمة . واشتبكت معها القوات الانجليزية بين سنة ١٨٩٦ و ١٨٩٧ وكان بادن بويل مشتركا فى القتال . وتروى مآثر من البطولة فى الجانبين . من ذلك أن أحد المتابيل زرق ضابطا انجليزيا بحربة قصيرة ثبتت فى جسمه ونفذت فى ظهره . فلم يهن الضابط بل نهض وهو يعلم أن خاتمته قد اقتربت وعدا وراء المتابيل كأنه ليس به شيء مع أن الحربة بارزة من صدره وظهره . وكان هذا الحادث الذى رواه المتابيل فيما بينهم من أعظم الحوادث التى بثت الذعر بينهم وجعلتهم يتوهمون أن أسلحتهم

لاتفتك بالانجليز . وانتهت المعارك بالطبع بهزيمة المتابيل الذين لم يقووا ، على الرغم من شجاعتهم ، من الثبات أمام الآلات الحربية العصرية . وأبدى بادن باول فى هـذا القتال براعة فائقة فى تفهم العقلية المتابيلية وتعقبهم فى معاقلهم فى الغابات .

وفى عام ١٨٩٩ نشبت الحرب بين البوير و بين الانجليز . والبوير هم المستعمرون الهولنديون الذين استوطنوا افريقيا الجنوبية واحتلوا الاقاليم الغنية بالمناجم وخاصة مناجم الذهب والألماس . وكان بادن باول يقود قوة انجليزية حوصرت فى ما فكنج مدة سبعة أشهر أنقذها فى نهايتها الجيش الانجليزى . وفى مدة الحصار هذه لم يكن بادن باول قانعا بالسلامة مقتصرا على الدفاع السلبى بل كان يخرج من وقت لآخر لمهاجمة القوات المحاصرة . وكان يستعين على الاهتداء لأماكنها وتقدير قواتها بالصبيان فى مدينة ما فكنج . فقد كان يرسل هؤلاء الصبيان زحفين على لركب يخفيهم الدبس والاعشاب حتى يقتربوا من قوات البوير ويدرسوا أحوالهم و يعودوا اليه ويخبروه بعددهم وقواتهم . ثم يبنى هو خططه ومكايده الحربية على ما يقدمه له هؤلاء الصبيان من معلومات . وهذا العمل هو الذى أوحى اليه بعد ذلك الفكرة عن إنشاء فرق الكشافة .

ولما انتهت الحرب عين بادن باول رئيسا — أو كما نقول — حكمدارا لقوات البوليس فى افريقيا الجنوبية . فلما كانت سنة ١٩٠٣ — عاد الى انجلترا وتعين معتشا عاما لقسم الفرسان فى الجيش البريطانى . وكان أعظم ما يمتاز به فى هـذه الفترة عنايته بالاستطلاع والتجسس والوقوف على مقدار القوة التى للعدو .

وفى عام ١٩٠٨ انشأ فى انجلترا « فرق الكشافة » فلقيت نجاحا عظيما ولم تكد تنشأ مدرسة عن إيجاد فرقة فيها ، ووضع مؤلفات مختلفة فى تنظيمها وأغراضها لا تزال تعد دستورا الى الآن فى جميع الفرق الكشافة . و إن كانت تعاليم الكشف قد نالها كثير من التوسع على أيدى آخرين من رجاله الذين لم يخرجوا مع ذلك عن إيحاء بادن باول ولم يحرفوا عن أغراضه .

وقد قدرت الحكومة البريطانية خدماته فمنحته لقب سير . وله مؤلفات كثيرة فى فن الحرب عامة والاستطلاع خاصة . أما مؤلفاته عن الكشف فكثيرة قد انتشرت وترجمت الى معظم اللغات الحية . ومن أحسن مؤلفاته " اقتحاماتى فى التجسس " و " الكشف للصبيان " و " حملة المتابيل " .

و"الكشف" هو فى الأصل التجسس والاستطلاع والتعقب للعدو والاهتداء إلى الطريق من أمارات صغيرة فى مكان الشمس أو الكواكب أو اتجاه الرياح . وجميع الأمم التى تعيش فى البداوة وتصادفها أوقات يجد فيها الفرد نفسه بين السماء والأرض متفردا تعرف هذه الثقافة البدائية وتمارسها وتهتدى بها . فإن " اقتفاء الأثر " كان ولا يزال من الفنون البدوية عند

الأعراب. وتلك القبائل التى تعيش بالصيد تعرف كثيرا من المعارف عن الصحارى والغابات والرياح . فان البدوى من العرب أو الترك يشيم الأفق لكى يعرف مواقع السحاب . وهو حين يقطع الصحراء على ناقته يميز بين الماء والسراب . وهو يعرك بعرة البعير لكى يعرف مأتاه ومنحاه . وهو يميز بين حافر الغزال ومخلب الثعلب وخف الجمل . وهو يشعل النار بأوهى وأخف المواد من قش وحجر ويعرف كيف ينصب خيمته ويصيد ويجنى طعامه من أرض قاحلة أو كالقاحلة يجوع فيها المتمدن وهذه المعارف تستعمل فى السلم والحرب معا. وبادن باول حين عمد إلى صبيان مانشستر واستخدمهم للاستطلاع عن حركات العدو انما كان ينقل إلى أبناء المتحضرين ثقافة البدائيين . ولم يأخذ بادن باول هذه الثقافة كما هى نقلا تاما ، بل نقح فيها وزاد ونقص بحيث تلائم البيئة المتحضرة . فإنه زيادة على ما يعلمه للكشاف من المعارف التى تتصل بالطبيعة لمعرفة الوقت من الجو أو تعيين بعض البزور أو إشعال النار بلا ثقاب أو الطبخ العاجل والتمييز بين الأعشاب الضارة والأعشاب النافعة كذلك يعلمهم معالجة الخشب ونصب الخيام والاسعافات الأولية للغريق أو الجريح ورسم الخوارط . ومبادئ الفرق الكشافة لم يطرأ عليها تنقيح إذ هى لا تزال كما وضعها بادن باول سنة ١٩٠٧ وأهمها :

(١) أن الكشاف يجب أن يكون أمينا يوثق بشرفه .

(٢) أن يدين بالولاء للملك والوطن ولأبويه وضباطه .

(٣) أن ينفع الآخرين .

(٤) أن يبتسم ويصفو فى أوقات الشدة .

(٥) أن يكون نظيف الفكر واللفظ والعمل .

وقد أخذت جميع الأمم بهذا النظام وهو فى الأمم الديمقراطية يخو نحو السلم ولا علاقة له بتاتا بالحرب . وفى الأمم الفاشية أو النازية يتجه نحو التعاليم الحربية . كما أن المعارف التى يمتاز بها الكشاف تختلف كثيرا بين كل أمة وأخرى ، وهى تتبع الوسط الذى يعيش فيه .